

# غزوة تبوك دروس وعبر

أمير بن محمد المدري

سلسلة غزوات النبي المصطفى دروس وعبر (8)

عالم الكتب اليمنية

صنعاء اليمن

مكتبة خالد بن الوليد

صنعاء اليمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله القوي الجبار، المتين القهار، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء الأخيار، وعلى آله وصحبه الأطهار، ومن تبعهم من الصالحين الأبرار، أما بعد،،

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء:1]

وبعد

فإن الحديث عن سيرة المصطفى ﷺ حديثٌ تحبُّه النفوس المؤمنة، وتأنس به قلوب بالإيمان مطمئنة، فحبه في شغاف الأفتدة مغروس، وتوقيره مشربة به النفوس، بأبي هو وأمي

ﷺ .

إن سيرة النبي قبل أن تكون علماً يُدرس هي موضوع شيق محبب إلى النفوس، وما ذلك إلا لأنَّ النبي هو أحب الخلق إلى

قلوب المؤمنين، فكلما قرأ المؤمن شيئاً من سيرته ازداد له حباً وشوقاً إلى رؤيته ولقائه، فهو أجود الناس وأشجعهم وأحلمهم وأجملهم، ولا شك أن في مغازي النبي من الفوائد والعبير وترقيق القلوب وربطها بالله تعالى ما لا يوجد إلا في القرآن الكريم. إلا أن الملاحظ أن أكثر الناس أعرضوا عن دراسة سيرته ومغازيه، كما أعرضوا عن القرآن وهجروه، ولهذا السبب زادت الغفلة بين المسلمين وقلّت محبة الله ومحبة رسوله في قلوب الناس، حتى ظهر ذلك جلياً في ترك الانصياع لأوامر الله وفي الإعراض عن سنة المصطفى .

ونحن اليوم في أمسّ الحاجة إلى تعليم أبنائنا ونسائنا بل وأنفسنا سيرة النبي ﷺ، عوضاً عما يُحشى في أدمغتنا من تقديس للكرة وتقدير للفضن الهابط وكل ما يُسخط الله ولا يرضيه، ولو أن أحدنا سئل عن مقدار محبته للنبي ﷺ لعجز عن وصف مشاعره، ولكن تهافته على الدنيا وتعامله بالربا وأكله أموال الناس بالباطل وتهاونه في الصلاة وعدم اهتمامه بدين أبنائه وبناته وتهاونه في حدود الله كل ذلك يكذب زعمه محبة النبي ،

وإنه من المؤسف أن ترى جهل الناس بسيرة نبيهم وسيرة أصحابه رضوان الله عليهم إلا من رحم الله.

يوم يُقَلَّبُ المرء صفحات الماضي المجيد، ويتدبر القرآن الكريم، ثم ينظر لواقعنا ويقارنه بذلك الماضي، يتحسر يوم يجد البون شاسعا والفرق عظيما، يتحسر يوم يرى تلك الأمة التي كانت قائدة، وقد أصبحت تابعة حينما ابتعدت عن شرع ربها ونهج نبيها، فعودا والعود أحمد، عوداً سريعاً إلى الماضي المجيد، لنستلهم منه الدروس والعبر في هذا الحاضر العاثر، عودا لسيرة من لم يطرُق العالم دعوة كدعوته، ولم يؤرِّخ التاريخ عن مصلح أعظم منه، ولم تسمع أذن عن داعية أكرم منه، وما أحرانا ونحن في الأيام العصيبة أن تتجاوز المدة الزمنية كي نعيش يوما من أيام محمد ، لناخذ العبر والدروس .

ومن هذا الباب لا زلنا وإياكم في هذه السلسلة المباركة:

**(غزوات النبي المصطفى دروس وعبر).**

ومع الوقفة الثامنة **(غزوة تبوك دروس وعبر)**

وأسال الله الكريم الوهاب العزيز التواب أن ينفع بهذا العمل  
وأن يجعله لوجهه خالصاً ولعباده نافعا وأن يجعله في ميزان  
حسناتي يوم ألقاه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

**أمير بن محمد المدري**

**اليمن - عمران**

[Almadari\\_1@hotmail.com](mailto:Almadari_1@hotmail.com)

## غزوة تبوك

### غزوة تبوك:

التي سببها هو استحابة طبيعية لفريضة الجهاد؛ ولذلك عزم رسول الله ﷺ على قتال الروم؛ لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقرهم إلى الإسلام وأهله، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: 123]. (1)

ولا يمنع ما ذكره المؤرخون بأن سبب الخروج هو عزم الروم على غزو المسلمين في عقر دارهم أن يكون هذا حافزاً للخروج إليهم، لأن أصل الخروج كان وارداً.

### غزوة تبوك: هي الغزوة التي خرج رسول الله ﷺ لها

في رجب من العام التاسع الهجري (2) بعد العودة من حصار الطائف بنحو ستة أشهر (3).

### غزوة تبوك:

(1) انظر: البداية والنهاية (3/5).  
 (2) انظر: تفسير الطبري (540/14 - 542)، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 614.  
 (3) انظر: فتح الباري (237/16).

اشتهرت هذه الغزوة باسم غزوة تبوك، نسبة إلى مكان هو عين تبوك، التي انتهى إليها الجيش الإسلامي، وأصل هذه التسمية جاء في صحيح مسلم، فقد روي بسنده إلى معاذ أن رسول الله ﷺ قال: «ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي»(1).

### ✽ غزوة تبوك :

لقد سميت أيضاً غزوة العسرة لشدة ما لاقى المسلمون فيها من الضنك، فقد كان الجو شديد الحرارة، والمسافة بعيدة، والسفر شاقاً لقلة المؤونة وقلة الدواب التي تحمل المجاهدين إلى أرض المعركة، وقلة الماء في هذا السفر الطويل والحر الشديد، وكذلك قلة المال الذي يجهز به الجيش وينفق عليه(2).

### ✽ غزوة تبوك:

---

(1) صحيح مسلم (1784/4) رقم 706.  
(2) انظر: الصراع مع الصليبيين لأبي فارس، ص 83.

لها اسم ثالث هو: الفاضحة، ذكره الزرقاني -رحمه الله- في كتابه «شرح المواهب اللدنية»<sup>(1)</sup> وسميت بهذا الاسم لأن هذه الغزوة كشفت عن حقيقة المنافقين، وهتكت أستارهم، وفضحت أساليبهم العدائية الماكرة، وأحقادهم الدفينة، ونفوسهم الخبيثة، وجرائمهم البشعة بحق رسول الله والمسلمين<sup>(2)</sup>.

### ✽ غزوة تبوك:

نقف مع هذه الغزوة في مثل هذا الزمن الذي تشابكت بأمة الإسلام حلقات من المحن، وتقاذفتها أمواج من الفتن، وصيح بهم من كل جانب وتداعى عليهم الأكلة، يجمُل الحديث عن هذه الغزوة في مثل هذه الأوضاع العالمية المتلاحقة التي تكرر لدى المسلمين جميعاً كل يوم أن رزق هذه الأمة وعزها تحت ظل رحمتها وجهادها، وذلتها وصغارها في تركها لجهاد أعدائها وإخلادها لشهواتها ودنياها.

### ✽ غزوة تبوك:

(4) انظر: الصرع مع

(1) انظر: شرح المواهب اللدنية (62/3).  
الصليبيين، ص 84.

التي من رسائلها أن الله كتب العزة والقوة لهذه الأمة، متى ما صدقت وأخلصت، فها هي دولة الإسلام الناشئة تقف في وجه الكفر كله بقواه المادية فتهمزه وتنصره عليه ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ [الحج:40].

### ﴿غزوة تبوك﴾:

التي من دروسها العظيمة أن تمكن العقيدة في قلوب رجال الإسلام أقوى من كل سلاح وعتاد، وقضى الله أن الأمة متى ما حادث عن عقيدتها وتعلقت بغيرها، إلا تقلبت في ثنايا الإهانات والنكبات والنكسات، حتى ترجع إلى كتاب ربها وسنة نبيها.

### ﴿غزوة تبوك﴾:

من دروسها أن العدو ما تسلل إلا من خلال صفوف المنافقين والمرجفين، ولم يكن الضعف والتفرقة في هذه الأمة إلا من قبل أصحاب المسالك المتتوية والقلوب السوداء، ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضِعُوا خِلَالِكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:47].

### غزوة تبوك:

إنها الغزوة التي متى ذُكرت ذُكر معها ذلكم الحدث العظيم، الذي عاشته المدينة وتقلبت مع أحداثه خمسين ليلة، إنه خبر الثلاثة الذين خُلفوا، كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، ولا يصف الحادثة كمن رآها وشاهدها وسمع أحداثها بل عاشها، وتجرع آلامها وأحزانها.

## الدروس والعبر من غزوة بدر الكبرى

### 1- ليميز الله الخبيث من الطيب:

لقد كانت دعوة الرسول ﷺ للتأهب في وقت عسر وحر وموسم لحني الثمار، فأما المؤمنون الصادقون، فقد سارعوا إلى تلبيتهم للرسول غير عابئين بمشقة ولا حرمان، وأما المنافقون، فقد تخلفوا، واخذوا يعتذرون بشتى الأعذار، وهكذا يتبين المخلصون من المنافقين في أيام الشدائد، وينكشف أمر الأعدياء في أيام الشدائد، وينكشف أمر الأعدياء في أيام المحن، وقد قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَحْسَبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: 1-2]

وإنما تقوم الدعوات، و تنهض الأمم بتطوير صفوفها من المنافقين والمخادعين ولا يثبت للشدة إلا كل صادقة العزيمة، مخلص النية، ثابت المبدأ، كثيراً ما عوق الضعاف والمخادعون سير دعوات الإصلاح في الأمة، وحالوا بينها وبين النصر، أو أحرروها ولو إلى حين، ولقد تخلص جيش العسرة في غزوة تبوك

من أمثال هؤلاء بفضل افتضاح أمرهم ، وانكشاف ضعف إيمانهم ، وخور عزائمهم ، وإن جيشاً متراض الصف ، متحد الكلمة ، قوي الإيمان ، صادق العهد ، أجدى للأمة — ولو كان قليل العدد — وأدعى لاكتساب النصر من جيش كثير العدد ، متفاوت الفكرة والقوة والثبات ﴿ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: 249]

## 2-الإيمان يصنع العجائب:

إن في مسارعة الموسرين من الصحابة إلى البذل والإنفاق دليلاً على ما يفعله الإيمان في نفوس المؤمنين من مسارعة إلى فعل الخير، ومقاومة لأهواء النفس وغرائزها، مما تحتاج إليه كل أمة لضمان النصر على أعدائها، وخير ما يفعله المصلحون وزعماء النهضات هو غرس الدين في نفوس الناس غرساً كريماً<sup>(1)</sup>.

وهذا ما نجد أمتنا اليوم اشد الحاجة إليه ، فالأعداء كثر ، والأعباء ثقيلة ، والمعرفة رهيبة ، والعدو قوي مآكر ، فلا نستطيع التغلب عليه إلا بمزيد من التضحيات في الأموال والأنفس والأهواء والشهوات ولا يحق ذلك إلا الدين الصحيح

(1) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، للسباعي، ص 161.

المفهوم على حقيقته الذي يربي النفوس على احتساب الأنفاق والتعب في سبيل الأمة جهاداً يثيب الله عليه كما يثب المجاهدين في ميادين النضال.

وفي قصة الذين جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يطلبون أن يأخذهم معه إلى الجهاد ، فردهم لأنه لم يجد ما يحملهم عليه ، فولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً على حرمانهم من شرف الجهاد مع رسول الله ﷺ ، في هذه القصة التي حكاها الله في كتابه أروع الأمثلة على صنع الإيمان للمعجزات ، فطبيعة الإنسان أن يفرح لنجاته من الإخطار ، وابتعاده عن الحروب ، ولكن هؤلاء المؤمنين الصادقين بكوا رغبة في الجهاد .

### 3-أمة الجهاد:

من دروس هذه الغزوة أن هذه الأمة أمة جهاد ومجاهدة وصبر ومصابرة، وحتى ما تركت الجهاد ضربت عليها الذلة والمسكنة، ولذلك فقد رأينا حياة النبي ﷺ جهاداً في جهاد، فإذا فرغ من جهاد المشركين رجع إلى جهاد ومقاومة المنافقين ثم جهاد الروم.

## 4- الإنفاق في هذه الغزوة وحرص المؤمنين على الجهاد:

حث رسول الله ﷺ الصحابة على الإنفاق في هذه الغزوة لبعدها، وكثرة المشركين فيها، ووعد المنفقين بالأجر العظيم من الله، فأنفق كل حسب مقدرته، وكان عثمان رضي الله عنه صاحب القِدْحِ المُعَلَّى في الإنفاق في هذه الغزوة<sup>(1)</sup>، فهذا عبد الرحمن بن حباب يحدثنا عن نفقة عثمان حيث قال: شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، عليّ مائة بغير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان، فقال: يا رسول الله، عليّ مائتا بغير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله، عليّ ثلاثمائة بغير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيت رسول الله يتزل عن المنبر وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه<sup>(2)</sup> وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنهما قال: جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز

(1) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 615.

(2) سنن الترمذي، مناقب (625/5، 626) رقم 3700.

النبي ﷺ جيش العسرة، قال: فجعل النبي ﷺ يقبلها بيده ويقول: «ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم -يردها مراراً-»<sup>(1)</sup>.

وأما عمر فقد تصدق بنصف ماله وظن أنه سيسبق أبا بكر بذلك، وهذا الفاروق يحدثنا بنفسه عن ذلك حيث قال: أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر ﷺ بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقتك إلى شيء أبداً<sup>(2)</sup>.

وروى أن عبد الرحمن بن عوف أنفق ألفي درهم وهي نصف أمواله لتجهيز جيش العسرة<sup>(3)</sup>.

وكانت لبعض الصحابة نفقات عظيمة، كالعباس بن عبد المطلب، وطلحة بن عبيد الله، ومحمد بن مسلمة، وعاصم بن

(1) مسند أحمد (63/5).

(2) سنن أبي داود، الزكاة (312/2، 313) رقم 1678.

(3) انظر: السيرة في ضوء المصادر الأصلية، ص 616.

عدي رضي الله عنهم<sup>(1)</sup>.

وهكذا يفهم المسلمون أن المال وسيلة، واستطاع أغنياء الصحابة أن يبرهنوا أن ما لهم في خدمة هذا الدين، يدفعونه عن طواعية ورغبة، وإن تاريخ الأغنياء المسلمين تاريخ مشرف؛ لأن تاريخ المال في يد الرجال لا تاريخ الرجال تحت سيطرة المال، وكما كان الجهاد بالنفس، فكذلك هو بالمال، وإن الذين ربوا على أن يقدموا أنفسهم، همون عليهم أموالهم في سبيل الله تعالى<sup>(2)</sup>.

رضي الله عن صحابة رسول الله وجزاهم الله خيراً عن الأمة، وهم كما قال ابن القيم رحمه الله:

أولئك أتباع النبي وحزبه \*\*\* ولولاهم ما كان في الأرض مسلم  
ولولاهم كادت تميد بأهلها \*\*\* ولكن رواسيها وأوتادها هم  
ولولاهم كانت ظلاماً بأهلها \*\*\* ولكنهم فيها بدور وأنجم  
مواقف مؤثرة وصور معبرة من البذل والعطاء والجهاد  
والفداء، كل هذا استجابة لنداء ربه: ﴿انفروا خِفَافًا وَثِقَالًا  
وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ

(1) انظر: معين السيرة،

(1) انظر: مغازي الواقدي، (3/391).  
ص449.

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿التوبة: 41﴾، وطمعًا في موعود نبيهم: «من  
جهز جيش العسرة فله الجنة».

والذي لا إله حق غيره، إن لفي ذلك عبرة أي عبرة، إنه  
متى صدق المسلمون مع ربهم ووجدوا صفهم وبذلوا وسعهم  
غنيهم وفقيرهم فإن الله ناصرهم وبالحق مؤيدهم.  
وأين البخلاء بأموالهم والشحيحون بيسير أرزاقهم عن محبة  
رسول الله ﷺ؟! ولكن: ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ  
وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: 38].

## 5- الإخلاص وحب الجهاد:

قدّم فقراء المسلمين جهدهم من النفقة على استحياء؛  
ولذلك تعرّضوا لسخرية وغمز ولمز المنافقين، فقد جاء أبو عقيل  
بنصف صاع تمر، وجاء آخر بأكثر منه، فلمزوها قائلين: إن الله  
لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء، فترلت الآية:  
﴿الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ  
لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾<sup>(1)</sup> [التوبة: 79].

(1) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص 616.

وقالوا: ما أعطى ابن عوف هذا إلا رياء، فكانوا يتهمون الأغنياء بالرياء ويسخرون من صدقة الفقراء<sup>(1)</sup>.

لقد حزن الفقراء من المؤمنين؛ لأنهم لا يملكون نفقة الخروج إلى الجهاد، فهذا عُلْبَة بن زيد أحد البكائين صلى من الليل وبكى، وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد، ورغبت فيه، ولم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في جسد أو عرض، فأخبره النبي ﷺ أنه قد غفر له<sup>(2)</sup>.

وفي هذه القصة وما جرى فيها آيات من الإخلاص وحب الجهاد لنصرة دين الله وبت دعوته في الآفاق، وفيها من لطف الله بضعفاء المؤمنين الذين يعيشون في حياتهم عيشة عملية<sup>(3)</sup>.

وهذا واثلة بن الأسقع تتركه يحدثنا عن قصته: ... عندما نادى رسول الله في غزوة تبوك، خرجت إلى أهلي فأقبلت وقد

(1) المصدر نفسه، ص 617.  
 (2) وردت من طرق ضعيفة ولها شاهد صحيح وهي بالجملة تصلح للشاهد التاريخي، انظر: المجتمع المدني للعمرى، ص 235.  
 (3) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون، (4/443).